



الشيخ أبو الحسن الندوي

كما عرفته

واسعة، مع الرغبة في أن يرأس هذه الرابطة.

وقد تم اللقاء الكريم مع سماحة الشيخ في ظلال الحرم المكي، وفي منزل الأخ الكريم الدكتور عبدالله عباس الندوي، واستجاب سماحته بما عرف عنه من صدر رحب، وبصيرة نافذة، ووعي وحكمة بالغين، وإدراك لدور الأدب في وجدان الأمة، وترشيد مسارها، وإنارة طريقها في العود الحميد إلى الإسلام، الذي هو مسوغ وجودها، وحصنها المنيع. وهكذا عرفت سماحة الشيخ معرفة وثيقة، وقوي اتصالي به وامتد - منذ ذلك اللقاء الكريم إلى وفاته - رحمه الله - فيما يقارب عشرين عاماً. وكانت فرص اللقاء بسماحته تتم في مؤتمرات الهيئة العامة للرابطة، وفي دورات مجلس الأمناء، وفي المؤتمرات والندوات الأدبية التي كانت تعقد في لكنو وغيرها من المدن في أنحاء الهند وفي تركيا، بالإضافة إلى لقائي به كلما قدم إلى دورة الهيئة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي. وكان آخر لقاء

وكان سماحة الشيخ الندوي قد أقام في ندوة العلماء في مدينة «لكنو» الهندية ندوة عالمية عن الأدب الإسلامي في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ودُعيَ إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي وفيهم كثير من المهتمين بالأدب، وفي هذه الندوة التي أعطت دفعا قويا للأدب الإسلامي، اتخذت توصية تتضمن إقامة رابطة عالمية للأدباء الإسلاميين.

«وقد تعزز هذا الاتجاه في ندوة الحوار حول الأدب الإسلامي، التي عقدت في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في شهر رجب عام ١٤٠٢هـ، ثم في ندوة الأدب الإسلامي العالمية التي عقدت في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في شهر رجب ١٤٠٥هـ.

وفي خلال هذه الفترة انتدبتني الهيئة التأسيسية لرابطة الأدب الإسلامي مع الأخ الكريم الدكتور عبدالباسط بدر للاتصال بسماحة الشيخ الندوي، وعرض ما قامت به من أعمال تمهيدية واتصالات

على أن الصلة بسماحة الشيخ لم تسنح لي إلا حين التقيت به في مدينة صغيرة في ولاية كيرالا الهندية، وهي مدينة «ممباد» التي عقد في جامعتها الصغيرة مؤتمر عن «الأدب العربي الحديث»، وكنت أُمثل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مع الزميل الكريم الدكتور إبراهيم الفوزان شغاه الله.

وقد ألقى سماحة الشيخ كلمة الافتتاح في المؤتمر، وأعلن رأيه في دور الأدب في مسيرة الأمم والشعوب، مقررًا دون تردد أن «العالم اليوم تحكمه الكلمة ويحكمه القلم».

ثم شاء الله عز وجل أن تقوى الصلة بشيخنا الجليل حين قامت عصبة من الأدباء الإسلاميين بمشروع إنشاء رابطة الأدب الإسلامي، وكانت مؤلفة من عدد من الأدباء في مدينة الرياض من مختلف الجنسيات، وقد رأوا أنه لابد لنجاح مشروعاتهم من أن يكون على رأسه شخصية لها مكانتها وشهرتها، مع توافر الرغبة في تبني هذا المشروع العظيم،

بقلم الدكتور:

عبد القدوس أبو صالح

■ ■ كان أول ما عرفت سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله في عام ١٣٧٠ هـ ١٩٥٠ م عندما قام برحلته التي كتب عنها في كتابه «مذكرات سائح في الشرق العربي» وتحدث فيه عن زيارته لدمشق وحلب، وكنت آنذاك طالباً في الجامعة السورية التي سميت بعد ذلك بجامعة دمشق، ثم أتيح لي مرة أخرى أن أرى الشيخ وأستمع إلى محاضراته التي ألقاها في مدينة الرياض، بدعوة من وزارة المعارف، في أوائل قديمي للتدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أوائل الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري.

أنه سوف يصل بحزبه إلى تحقيق الأكثرية النيابية، وأن الشيخ إذا جاء استانبول بعد الانتخابات القادمة فسوف يرى أربكان وجماعته مترعين على سدة الحكم وقد هزموا أعداءهم ومناوئهم. وكأنا رأيت الشيخ في كلام أربكان اعتداداً زائداً عن الحد، ونظرة إلى السياسة على أنها لعبة الكر والفر، ومضمار السبق إلى الحكم، فإذا به ينتفض انتفاضة الليث الهصور، ويقول للزعيم الإسلامي: لا تكن سياستك قائمة على حساب الربح والخسارة، ولا يكن الحكم لديك مجالاً لإظهار الغلبة والتسلط، والوصول إلى زخرفة الحكم وإغراء السلطة.. فالأمر أجل وأكبر.. ولتعلم أنك بما أوصلك الله إليه، وما هيأ لك مطالب بأن تحمي استانبول أن تعود إلى معسكر الكفر، وأن تمنع آيا صوفيا التي أصبحت مسجداً من أن تعود كنيسة لأهل الصليب. وكان الشيخ يتكلم بحماسة وهيبة الصديقين، يشع من كلماته وهج الصدق وحرارة الانفعال، وكنت أنظر إلى الزعيم

السمات، ولفنتك في وجهه نظارتان دائمتان، ويغلب عليه طبع شديد الهدوء، وميل إلى الوداعة، حتى يخيل للجاهل أنها استكانة واستسلام، وكأنا عناء ابن المقفع حين قال في صاحبه «وكان يرى ضعيفاً مستضعفاً فإذا جد الجد فهو الليث عادياً». ولعمري لقد رأيت وداعة الحمل تنقلب إلى صولة الأسد في موقفين لا أنساها ما حييت، فأما الموقف الأول فقد كان في أحد مؤتمرات الهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة استانبول، وقد أقام الشيخ في فندق إسلامي كان يسمى بفندق مكة، وجاء إلى زيارته في ضحى أحد الأيام الزعيم الإسلامي أربكان، ودخل على الشيخ في عنفوانه واعتداده بنفسه، يرافقه عدد من خواصه، ومن المعروف أن أربكان يفهم العربية، ولكنه لا يجيد التكلم بها، وقد بدأ الحديث بمعونة أحد أصحاب أربكان، الذي كان يترجم كلام الشيخ، وكان أربكان يتحدث عن طموحه وطموح حزبه، ويقرر للشيخ

لي مع سماحته في دورة مجلس الأمراء العاشرة في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، وذلك في شهر جمادى الأولى عام ١٤١٩ هـ الموافق لشهر آب/أغسطس ١٩٩٨ م. وهكذا كان من فضل الله تعالى علي أن أتاح لي معرفة وثيقة بالشيخ الندوي، وكانت هذه المعرفة تزيد إعجابي وإكباري لهذه الشخصية، الفذة كلما تناولت هذه المعرفة وتوثقت عراها، وتجددت مناسباتها. ولقد كان الشيخ الندوي أمة في رجل، وكان كما قال لي عنه الفقيه الكبير الأستاذ مصطفى الزرقا: «إنه قطعة من السلف الصالح أراد الله لها أن تعيش في عصرنا الحاضر». وقال عنه العالم المحقق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة: «إنه بركة العصر».

ولم يكن في هيئة الشيخ وطلعته ما يجذب الناظر إليه، أو يوقع الهيبة في قلبه، فقد كان رغم نسبه العربي وانتمائه الحسني يبدو هندي الملامح، معتاد



الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته

العامّة في استانبول عندما لبّيت دعوة كريمة من أحد كبار أصحاب الزعيم الإسلامي أربكان، وقد حضر الدعوة عدد كبير جداً من رجال الفكر والأدب والسياسة والاقتصاد، وفي هذا اللقاء الحافل وجّه إلى الشيخ الندوي السؤال التالي: «ما هو في رأي سماحة الشيخ المنهج الأمثل للدعوة الإسلامية؟». وأجاب الشيخ الحكيم جواباً مسهباً قال فيه: «لو أننا وضعنا في كفة الميزان ما بذلته الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر من جهود وأوقات، ومن محن وسجون، ومن دماء ودموع، ثم نظرنا إلى الكفة الأخرى لما رأينا توازنًا ولا ما يشبه التوازن.. ولعل السبب الأكبر في ذلك أن معظم العاملين في الدعوة وضعوا نصب أعينهم الوصول إلى الحكم، وإزاحة الحاكم عن كرسیه، بحجة أن سيطرتهم على الحكم سوف تمكنهم من تحقيق أهدافهم الإسلامية.. ولكن الحاكم الذي ربط مصيره وحياته بالكرسي الذي يتربع عليه ما إن يحس بما يهدد كرسیه من خطر حتى ينسى كل شيء، ويستعين بكل شيء حتى يحتفظ بكرسيه الذي يعدل حياته.. ومهما كان لهذا الحاكم من إيجابيات قلّت أو كثرت فإنه سوف يضعها وراء ظهره، حتى يبطش بأولئك الذين تهددوه في حكمه أو في حياته، لأن كرسي الحكم يعدل عنده حياته.

ولو أن الدعاة إلى الإسلام جعلوا منهجهم إيصال الإسلام إلى الجالسين على كراسي الحكم، مع موالة النصيح لهم بما يصلحهم، ويحدو بهم إلى العود الحميد إلى الإسلام لكان في ذلك تحقيق كثير مما يهدف إليه هؤلاء الدعاة من

التي جاءت من الرجل ذي المكانة المرموقة.. ولكني ما كدت أنهي كلامي حتى انتفض الشيخ من هدوئه المعهود وقال: اسمع يا فلان.. لو جئتني في منزلي في قرية «رالي بريلي» لرأيتي أستعين بعجلة المعوقين حين أنتقل من منزلي إلى المسجد الذي لا يبعد أكثر من خمسين مترًا.. ومع ذلك فقد قطعت المسافات الشاسعة لأحضر لقاءات الرابطة، وكل ذلك ثقة بك وبأخوانك.. ووالله لا تترك عملك في الرابطة.. لا تترك.. لا تترك.. فأما مشكلة الأخوين فاقترح عليّ ما تراه مناسباً لحلّها، وأما رسالة فلان.. فأنت الذي سوف تجيبه عنها.. وأما كثرة أعمالك فكل ما أقوله لك: سدّد وقارب.

ولم أملك والله أمام غضبة الشيخ وهيبته، وأمام ثقته ومودته إلا أن أعاهد الله ألا أترك العمل في الرابطة ما حييت.

أما منهج الشيخ الذي صار منهج رابطة الأدب الإسلامي العالمية فقد طالما تحدثت عن هذا المنهج في افتتاحيات مجلة «الأدب الإسلامي» وفي ندواتها ومؤتمراتها العامة، وكان مما قلت فيه: «وشهد كل منصف متابع لمواقف الرابطة ومنشوراتها، وما تعقده من ندوات، وتقييمه من مؤتمرات أن هذه الرابطة إنما تصدر في أهدافها ووسائلها ومختلف أوجه نشاطها عن المنهج الذي اقتبسته من سماحة رئيسها الشيخ أبي الحسن الندوي، وهو منهج الحكمة والاعتدال، والبعد عن الغلو، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقلت أيضاً: «إنه منهج يقوم على مناصحة الحكام وإحسان الصلة بهم».

وأذكر أننا كنا في أحد مؤتمرات الهيئة

الكبير يطامن من عنفوانه، ويهدد من اعتداده بنفسه، ثم ما تلبث أن تطفر الدموع من عينيه، ويكب على يد الشيخ يقبلها بتواضع المريد أمام شيخه الجليل.

وكان الموقف الثاني في استانبول أيضاً، وكنت أمضيت سنوات عديدة نائباً أول للشيخ في رئاسة الرابطة، وكانت لي مسئوليات دعوية أخرى، وقد ازدحمت عليّ المشاغل والمشكلات، وكنت أواجه بعضها في عملي بالرابطة، وبخاصة ما وقع بين أخوين كريمين من المسؤولين في الرابطة، وقد نزغ الشيطان بينهما، وكنت كلما حاولت رتق ما بينهما انفقت الرتق من جديد، مما حيرني وأعيانني كما أعيا من أعانوني عليه، وكان مما زاد الطين بلة أن وصلت إلى الشيخ ونحن في استانبول رسالة عاجلة من أحد أعضاء الشرف ومن ذوي المكانة لدى الشيخ نفسه، وقد صلب الرجل جام غضبه على العاملين في مكتب البلاد العربية للرابطة، متهماً إياهم بأنهم لا يعطون الرابطة إلا فترات أوقاتهم، وقد تكوم الشيخ فأطلعني على الرسالة، وعندئذ رأيت أن لا مناص مما كنت عازماً عليه من تقديم استقالتي من المنصب، الذي أولانيه الشيخ منذ وفاة نائبه الأول الدكتور عبدالرحمن الباشا، أحد رواد الأدب الإسلامي رحمه الله.. وكان مما قلته للشيخ: لقد عملت في هذا المنصب سنوات عديدة، حاولت فيها أن أبذل ما أستطيع، ولكني لم أعد أستطيع الجمع بين هذا المنصب وبين مسئولياتي الدعوية الأخرى، كما أنني لم أستطع إرضاء الصغار ولا الكبار في هذه الرابطة، ومضيت أدمع موقفي مسهباً في مشكلة الأخوين المسؤولين، ثم أدلل بهذه الرسالة

استشهد الشيخ أبو الحسن بسيرة الإمام العالم السرهندي للتدليل على صحة المنهج الذي ارتضاه.

نصرة للدين وإعلاء لكلمة الله.

وقد مضى الشيخ الحكيم يستشهد على صحة المنهج الذي ارتضاه بسيرة عالم كبير ومجاهد صادق هو الإمام السرهندي، الذي عاش في عهد السلطان المغولي «أكبر». وكان هذا الإمبراطور قد سوّلت له نفسه بتأثير من بطانته التي كان فيها بعض المنافقين من علماء السوء، مع نفر من الهندوس والنصارى أن يحمل الناس على خليط من الأديان، وكان يجبر المسلمين على اتباع هذا الدين الملقق، ومع ذلك فإن الإمام السرهندي لم يعتزل الدولة والناس، ليلجأ إلى زاوية يشتغل فيها بذكر الله، وكذلك لم يقطع الرجاء من إصلاح السلطان، فيلجأ إلى إقامة جبهة دينية معارضة، تقوم بالثورة على السلطان ومحاربهته؛ نظراً إلى أنه عدو لدود للإسلام، وإنما أثر أن يتصل برجال الدولة وأمرائها، ويثير فيهم الحمية الإسلامية، بعد أن أثبت للناس زهده وتقشفه واستغناؤه عما في أيديهم، وترك الدولة لأهل الدولة، والمناصب إلى أهلها، حتى لم يكن يستطيع أكثر الناس كيداً وحسداً أن يتهمه بالحرص والطمع في الحياة والسلطان.

وظل الإمام السرهندي يوالي منهجه السلمي والدعوي، ويرسل الرسائل إلى من يظن به الخير من الأمراء والأعيان؛ حتى أعاد السلطان جهانكير الدولة والرعية إلى الإسلام بعد هلاك والده السلطان أكبر.

ولقد كان من أثر منهج الشيخ أن عدلت المادة الأولى من النظام الأساسي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، فأصبحت

تنص على ما يلي:

«رابطة الأدب الإسلامي العالمية هيئة أدبية عالمية، تضم الأدباء المنتسبين إليها، وتلتزم بالابتعاد عن الصراعات السياسية والحزبية».

وقد جاء في افتتاحية العدد ٢١/ تحت عنوان «رابطة الأدب الإسلامي والسياسة» أن مجلس أمناء الرابطة «قد اجتهد في صياغة هذه المادة، ووافق عليها بالإجماع خشية أن «تُسيّس» الرابطة، ودفعاً لمزالق السياسة وسلبات الحزبية». وعلى أن هذا التعديل للمادة الأولى من النظام لا يعنى كما جاء في الافتتاحية المذكورة «أن الرابطة تقف موقفاً سلبياً من قضايا الأمة المصيرية». بل إن هذا التعديل لم يحدث إلا بعد حرب الخليج، التي وقف فيها رئيس الرابطة موقفاً

واضحاً، وبين موقفه في مجلة «البعث الإسلامي»، ثم لم يكتف بذلك حتى أقام باسم الرابطة ندوة في الهند لنصرة دول الخليج، وأسهم في مؤتمر المنظمات الإسلامية الذي عقد في مكة المكرمة للغاية ذاتها.

وكان هناك حوار بيني وبين سماحة الشيخ حول حرب الخليج، ورأيت في سياق الحوار ما يؤكد بُعد نظر الشيخ، بل ما يؤكد أنه من أولياء الله الصالحين الذين يملكون فراسة المؤمن، وكأنهم ينظرون بعين الغيب، ذلك أنه قال لي في سياق الحوار:

«لقد حاول حاكم العراق أن يغريني بشتى الوسائل ومختلف الوسطاء أن أزور العراق، سواء في أحد المؤتمرات الشعبية التي كان يعقدها، أو في زيارة خاصة أحدها، بل إنه عرض عليّ أن يرسل طائرة خاصة تذهب بي إلى العراق وتعود بي إلى الهند، ولكنني رفضت مختلف العروض والوساطات، وذلك لأن هذا القلب لم يرتح إلى هذا الرجل منذ أن كانت الدنيا كلها معه، ومنذ أن كان سائر الحكام يناصرونه أو يسالمونه، وذلك على خلاف ضياء الحق الذي كان يدعوني بالهاتف، فأتى كل شيء، وأجيب دعوته دون تردد، وكان في الأمر المستعجل يرسل لي طائرته الخاصة».

وكان من أثر منهج الشيخ في مناصحة الحكام نصحاً خالصاً لوجه الله أن أحبه معظم من عرفه من الحكام العرب والمسلمين وأحلوهم المكانة التي يستحقها،





الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته

لنزاهته وزهده وصدق نصيحته، ولقد تجلّى ذلك في موقفين اثنين مما شهدت وعرفت.

فأما الموقف الأول فقد كان منذ نحو سنتين، عندما عقدت الدورة العاشرة لمجلس أمناء الرابطة في مدينة عمان، إذ ما علم ولي العهد آنذاك الأمير الحسن بن طلال بوجود الشيخ الندوي في عمان حتى دعاه مع سائر أعضاء مجلس الأمناء إلى حفل غداء في القصر الملكي، ودعا إلى هذا الحفل عدداً من الأمراء والمستشارين، كما دعا رئيس الوزراء مع خمسة من أعضاء وزارته، ومع ثمانية من مديري الجامعات ورؤساء الجمعيات الأدبية، ولقد كان من اهتمام الشيخ الندوي بموضوع فلسطين وضيق القدس أن أعد كلمة مكتوبة لم يذكر فيها رابطة الأدب الإسلامي، وإنما ناشد فيها ولي العهد أن تقوم المملكة الأردنية الهاشمية بمسؤولياتها الإسلامية لاسترداد القدس، واسترداد فلسطين.

وأما الموقف الثاني فيتجلّى في استجابة المسؤولين الكرام في المملكة العربية السعودية لرجاء الشيخ الندوي في الترخيص لمكتب رابطة الأدب الإسلامي في المملكة، فقد صدرت الموافقة السامية على ذلك، وأشير فيها إلى أن ذلك كان بناء على رغبة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله.

ومن منهج الشيخ وإيمانه بنبذ العنف ودعوته إلى ما في الإسلام من السماحة والإنسانية أن الشيخ أقام دعوة سميت بحركة الإنسانية، جمع فيها بين كبار الشخصيات الإسلامية والهندوسية، وكان من أهداف هذه الحركة إطفاء نار العصبية

والطائفية في الهند.

ومن منهج الشيخ القائم على الوسطية أنه اتهم لدى بعض المتصوفين المغالين بأنه سلفي، واتهم لدى بعض السلفيين المتشددین بأنه صوفي، ولن أنسى ذلك الشاب الذي هاتفني منذ سنتين. مردداً ما يقوله بعض الذين يصدرون أحكامهم على العلماء جزافاً دون تروٍّ ولا تثبُّث، وهم يشيِّعون أن الشيخ صوفي يكره مذهب أهل السلف، وقد نصحت ذلك الشاب أن يكتب إلى الشيخ عن الشبهات التي قامت في نفسه عنه، وذكرت له أن شيخ الإسلام ابن تيمية فرق بين الصوفية التي لا تخرج عن تهذيب الروح والسلوك وأخذ النفس بالعزائم، وبين الصوفية المنحرفة ذات الشطحات الكفرية.. وقلت لذلك الشاب: إنني حضرت في أحد مساجد مكة المكرمة وكان قريباً من «مني» محاضرة للشيخ أبي الحسب الندوي، وكان الذي قدمه فيها إلى الناس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، ولو كان في الشيخ الندوي ما يتوهم هذا الشاب وغيره لما فعل الشيخ ابن باز ذلك، ولما كان بينه وبين الشيخ الندوي ما يكون بين كبار العلماء من المودة والتشاور والتناصح، وبخاصة أن الشيخ الندوي كان عضواً في الهيئة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسها، وكان الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيساً لها إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

وقد كنت أنظر منذ أيام في كتاب الشيخ الندوي «مذكرات سائح في الشرق العربي» حتى أستظهر السنة التي زار فيها بعض البلاد العربية فإذا بي أقع في أثناء الكتاب على قول شيخنا الجليل عن

رحلته إلى السودان: «رأينا ونحن خارجون من الدار حلقة قائمة من الشباب يرددون: «شيئاً لله يا حسن. أنت سلطان الزمن» فأنكرنا هذا النشيد الذي لا أرى له مبرراً، والذي يعارض التوحيد معارضة صريحة، وكيف تجوز الاستغاثة بشيخ ميت، والاعتقاد بأنه سلطان الزمن؟!... فإني أعتقد أن عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى يجب أن تكون أول ما يهتم به المصلح، ويدعو إليه الداعي والمحدث، ولا يسعه التغافل عنه في كل حال من الأحوال، قال الله تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة، ثم يقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، إنما أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [آل عمران ٧٩ - ٨٠].

ووقعت عيني في هذا الكتاب بعد صفحات من الكلام السابق وفي سياق الحديث عن رحلة الشيخ الندوي إلى سورية على قوله عن مسجد الشيخ محيي الدين في دمشق: «ورأيت هذا المسجد مثل المساجد الأخرى التي بنيت على القبور، ودفن فيها رجال من الصالحين، فرأيت لوحة على الجدار فيها «ياشيخ محيي الدين» وهي معارضة صريحة لقوله تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾. [الجن - ١٨].

«... ورأينا هذا البيت مكتوباً على الجدار:

أفلت شמוש الأولين وشمسنا

جمع الشيخ بين الفقه والتفسير والحديث والتربية والأدب، مع تضلعه بعلوم العربي وإتقانه عدة لغات.

أبدأ على أفق العلاء لا تغرب
وكان هذا مثار العجب والاستنكار
أيضاً..

ولقد كان الشيخ الندوي من العلماء الذين تطابق أفعالهم أقوالهم، ويشهد ظاهراً على طهارة دخالهم، وكان من الزهاد الصادقين الذين لا يتكلفون الزهد ولا يصطنعون التعفف، ولقد كان يؤثر في أسفاره أن ينزل في بيوت محبي الفقراء على أن يقيم في الفنادق الفخمة، وأما بيته الذي زرته فيه فقد كان ما فيه من متاع لا يكاد يساوي شيئاً إذا عرض للبيع، وكان سريرته الذي ينم فيه سريراً متواضعاً، ولعله يُسمى سريراً على سبيل المجاز، وكنت أنظر إلى صحون الطعام في إفطاره وغدائه وعشائه فيخيل إلي أنها لا تكاد تشبع الرجل الواحد، ولكنه كان يأكل منها مع أصحابه وإخوانه فتكفيهم ببركة الدعاء والرضا بما يقيم الأود من اللقيمات.

ولقد جمع الشيخ بين الفقه والتفسير والحديث والتربية والأدب، مع تضلعه بعلوم العربية، وإتقانه عدداً من لغات الشعوب الإسلامية واللغات العالمية.

ولكن الشيخ كان أكثر ما يرتاح إلى الأدب، وكان يهتز للشعر ويطرب له، وكان يحفظ كثيراً من شعر إقبال الذي ألف كتاباً عن روائعه، وعندما استمع في أحد مؤتمرات الرابطة في استانبول إلى قصيدة لأحد كبار شعراء الرابطة وهو الدكتور عدنان النحوي - وكان الشاعر سماها «ملحمة القسطنطينية» - علق الشيخ عليها بقوله: كنت أظن أن الشعر العربي قد دالت

دولته، ولكن هذه القصيدة أكدت لي أنه ما يزال بخير.. وعندما أقمنا في مؤتمر آخر أمسية شعرية أو «عصرية» شعرية في غابة السلطان محمد الفاتح في ضواحي استانبول كان من جملة شعراء الأمسية الشاعر المبدع الدكتور عبدالرحمن العشماوي، وكانت قصيدته بعنوان «حداً في موكب الهجرة» وقد أثرت القصيدة بمعناها ومبناها في وجدان الشيخ الندوي، وزاد في تأثيرها إلقاء العشماوي المتميز، وصوته الجهوري المعبر، الذي كان يتردد في جنبات الغابة. وما انتهى الشاعر من إنشاد قصيدته حتى هناه الشيخ الندوي ودعا له قائلاً: «أنت سيف من سيوف الله».

فإذا جئنا أخيراً إلى ميدان الأدب الإسلامي رأينا سماحة الشيخ أول من

دعا إلى ندوة للأدب الإسلامي في رحاب «جامعة ندوة العلماء» في الهند - كما قدمنا -، ثم رضى على كثرة مشاغله وأعبائه أن يقود مسيرة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي لم يتخلف عن أي دورة من دورات مجلس أمنائها، ولا عن أي مؤتمر من مؤتمرات الهيئة العامة فيها، إلا بعد أن أقعده المرض، وأعجزه الشلل الذي شفاه الله منه على علو سنه واصطلاح الأمراض عليه.

وها هي ذي رابطة الأدب الإسلامي العالمية وقد بلغت بجهود الشيخ وتوجيهه وبركة دعائه ما لم يكن في الحسبان أن تبلغه، إذ أصبحت ولله الحمد ثغراً إسلامياً، وعطاءً يانعاً، من نتاج الصحوة الإسلامية، ورمزاً للاعتدال والبعد عن الغلو مع الاعتدال بالهدف وتوخي القصد، والتزام المنهج الذي ارتضاه لها شيخها الجليل.

ولقد كان من دعاء الشيخ الذي أسر به إلي في ظلال الحرم: «أدعو الله أن يلهم الحكام والمسئولين في العالم العربي والإسلامي أن يجعلوا من الأدب الإسلامي وسيلة لإيجاد جيل مؤمن بالله، متمسك بأخلاقه الإسلامية، معتز بدينه القويم وتراثه العظيم».

ذلكم هو سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي الداعية الكبير، والمربي الكبير، والأديب الكبير، حكيم الهند بل حكيم الإسلام، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

اللهم تغمد شيخنا برحمتك، وأعل مقامه كفاء ما قدم للإسلام والمسلمين، واحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. إنك سميع مجيب.

